مساعى الأمير حليم والخديو اسماعيل من أجل عرش مصر أثناء الثورة العرابية

الدكتورة لطيفة محمد سالم

أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر

كلية آداب بنها

نشاط الأمير حليم :

وفقا لنظام وراثة العرش كان يحق للأمير حليم وهو الابن الأصغر لمحمد على أن يتولى حكم مصر ، لكنه لم يتمكن من ذلك لمجهودات اسماعيل ، فالعداء كان مستحكما بينهما ، وقد رأى الأخير ضرورة القضاء على ذلك المنافس الخطير لينال مراده ، وكان التعامل بالمال هو من سماته فوصل به لاتفاق مع حليم بأن يعطيه ٦٠ ألف جنيه مصرى لمدة أربعين سنة فى سبيل أن يترك حقه فى العرش ، ونفذ الاتفاق حتى جاء قرار الحكومة فى ١٥ ديسمبر ١٨٧٩ ليخفض راتبه الى ١٥ ألف جنيه فاحتج على هذا الاجراء[1] ، كذلك قام اسماعيل بالاستيلاء على ما يمتلكه من الأطيان الأثرية والجفالك والأباعد العشورية وأطيان والدته بما فيها من مواشى وماكينات وطلمبات وابورات مياه وأشجار فى نظير مبالغ »[2] وجاء فرمان ١٨٧٣ الذى بذل اسماعيل فيه الأموال ليغير نظام

---

(1) Egypt No, 1 (1881), No 1, Sir Rivers wilson to Earl Granville, August, 14, 1880.

(٢) محافظ الأبحاث ، محفظة ١٢٦ ، تراجم محمد على باشا وعائلته، دفتر نمرة ١٢ ، أوامر كريمة للدائرة السنية ، صورة الأمر الكريم نمرة ١٢ بعية ، صادر الى الادارة فى غاية ذى القعدة ١٢٨٢ (١٨٦٥) .

الوراثة ويحرم حليم من حقه[٣] ، ولم يلبث الأمر أن اتهمه بالتامر عليه وأمر بنفيه خارج مصر واضطهد جميع مؤيديه فرحل أغلبهم[٤] .

وفى الخارج بدأ يمارس نشاطه ويبذل مساعيه من أجل استرداد حقه الذى أفقده له اسماعيل فطرق جميع الأبواب ووجد المؤيدين ، فعندما ظهرت بوادر ضعف توفيق فى منصبه رأت فرنسا أن تحل مكانه حليم « وكان سفير فرنسا بالاستانة مداوما على الاجتماع مع البرنس حليم باشا »[٥] ، وكانت صادقة فى مسعاها اذ يقول مراسل التيمز بالاستانة « توجد أسباب تدل على أن فرنسا قبلت طلب عبد الحليم باشا حتى قيل أنها فتحت المخابرة فى هذا الشأن »[٦] واحتضنت باريس مناصريه فمنها خرجت صيحات يعقوب بن صنوع الذى كان يميل اليه ويرى أنه أكثر ملاءمة لحكم مصر من اسماعيل وتوفيق نظرا لما كان يعلنه حليم من مبادىء يريد تحقيقها اذا تولى عرش مصر .

ولاعتماد حليم على فرنسا وميلها له جعل انجلترا تشكل معارضة تجاه ذلك وتقف أمام كل خطوة للاستحواذ على حقه ، فكانت وراء حركاته وتراقب أتباعه وخاصة فى مصر عن طريق قنصلها[٧] ، وكان من رأى دى فريسنيه الذى كتب الى جرانفيل يقترح عليه استبدال توفيق بحليم لكن وزير خارجية انجلترا يرفض[٨] ، هذا بالرغم من علاقات الود والتفاهم بينهما .

---

(3) Cromer : Modern Egypt, London 1906, p. 136.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، جـ١ ، الطبعة الثانية ، النهضة المصرية ١٩٤٨ ، ص٢٤٤ ومارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ١٧٩٨ — ١٨٨٢ ترجمة د. عبد العظيم رمضان ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص٢١٧ .

(٥) الطائف ، عدد ٢٨ يونيو ١٨٨٢ .

(٦) المفيد ، عدد ٥٣ فى ٤ مايو ١٨٨٢ .

(٧) محافظ الأبحاث ، محفظة ١١٦ ، عابدين محفظة ١٦٣ ، ملف ثابت باشا ، برقية من الخديو الى ثابت باشا ، ٢٧ نوفمبر ١٨٨١ .

(٨) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف القرن ، جـ١ ، مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ص ١٢٣ .

ويحاول حليم استرضاء انجلترا فيتصل بالسفارة الانجليزية بالآستانة « ويوعد السفير بطرد العرابى باشا وغيره من كبار رجال الثورة واعادة النفوذ الأوروبى الى مصر كالأول فى حالة اعطائه خديوية مصر »[٩] لكن تلك التصريحات لم تلق قبولا لدى انجلترا ومضت تعارض تعيين حليم[١٠] ، فى الوقت الذى أيدت فيه ألمانيا والنمسا اعطاءه عرش مصر فيذكر بلنت « ان المانيا والنمسا اللتان يمثلهما رونشلد وبعض الماليين راضيتان بالعلاج الذى استعمل عام ١٨٧٩ بدخول السلطان فى المسألة وتعيين حليم مكان توفيق »[١١] .

أما عن الدولة العثمانية فقد كانت تميل اليه ، وتعلم بنياته ورغباته وتشجعه ، فيذكر مندوب الخديو لدى الباب العالى أنها تسمح له بالذهاب الى أوروبا « لعمل الفساد »[١٢] ، وكان حليم يعرف جيدا كيف يرضيها وينفذ الى داخلها فهى تعمل من أجل المزيد لصالحها ، فعقب عزل اسماعيل رأت الفرصة لاسترجاع نفوذها فى مصر وأرادت تعيين حليم بدلا من توفيق وذلك لالغاء الامتيازات التى حصلت عليها مصر ، وقد قال محرر التيمز بعد حديث له مع اسماعيل قبل تنازله عن العرش « فهمت أن الباب العالى هو من أشار بتولية الأمير حليم لكن انجلترا وفرنسا أشارتا على الخديو بالتنازل ووعداه بمساعدته على تولية ابنه توفيق »[١٣] ، وبذلك تتضح الثقة التى عقدتها الدولة على حليم وموقف انجلترا وفرنسا ازاء ذلك ومع أن فرنسا كانت تميل لنصرة حليم الا أن النفوذ الانجليزى كان قويا فى هذه المسألة .

---

(٩) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، محفظة ١٦٤ ، ترجمة خطاب من ثابت باشا الى رئيس الديوان الخديوى ، ١١ ابريل ١٨٨٢ .

(10) Cromer : op. cit, p. 196.

(11) Blunt : Secret History of English Occupation of Egypt, London 1907, p. 276.

(١٢) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، محافظة ١٦٣ ، برقية من ثابت باشا الى الخديو ، ٨ ديسمبر ١٨٨١ .

(١٣) الوطن ، عدد ٨٧ فى ١٢ يوليو ١٨٧٩ .

استطاع حليم أن يكسب بجواره الكثير من الساسة الأتراك ، ومع بداية الثورة والدولة تحوم حول احلال وال آخر مكان توفيق وأن تجعل تعيينه محدودا بمدة زمنية معينة وهي خمس سنوات ويذكر السفير الفرنسى لوزير خارجيته « أن السلطان لديه مشروعا وينتهز الفرصة لكى ينفذه »[١٤] ، وعلى ذلك كثر تردد حليم على السلطان لدرجة أنه كانت هناك اجتماعات تعقد معه » تم استقدام حضرة حليم باشا لدى الحضرة السلطانية وذلك عقب وفود الموسيو مالت قنصل جنرال انجلترا فى مصر على الآستانة »[١٥] ، كما انه لم يترك مجالا الا ويقوم بعرض آرائه ومقترحاته حول المسألة المصرية[١٦] ، بعد اذن السلطان لكنه فى نفس الوقت يرفض أن يعطيه السلطة فى حديثه اذا أظهر فيه الاشارة بأنه سيكون خليفة للخديو[١٧] ، وهذا من سياسة الدولة المعروفة .

لم تغفل انجلترا ذلك فقد كانت على علم بكل تلك الخطوات ، ففى حديث لكوكسن مع عرابى أبان له تلك السياسة التركية من أجل اعادة حليم وتولية عرش مصر[١٨] ، وعلى صفحات التيمز كتب مراسلها فى الآستانة يقول « ان عبد الحليم باشا تعهد لأهل السياسة فى الاستانة بأن يكون آلة للباب العالى بمصر ويمضى ان فرض وتمكن من قصده وجب عليه أن يعطى للباب العالى الكفالات القوية عن صداقته فى المستقبل »[١٩] ، وقد وافق

---

(14) Documents Diplomatique Francais, Tom IV, No 134, M. Tissot ambassadeur de France à Constantinople à m. pa thélerny Saint Hilaire Ministre des Affaires Etrangers, Thérapia, Sept. 15, 1881, p. 124.

(١٥) المصباح ، عدد ١٩٩ فى ١٩ سبتمبر ١٨٨١ .

(١٦) البرقيات الواردة من استانبول والصادرة اليها اثناء الثورة العرابية ، ترجمة الدفتر ٢٨٧ ، برقية ٤ من القبو كتخدا الى الخديو فى ١٢ سبتمبر ١٨٨١ .

(17) Archives des maison, de cour et d'etat, Vienne, Fasc XXX1/9, Rapport du consulat general i R au Ministre des Affaires Etrangeres, le Caire, 6 Mars, 1882.

(18) Broadly : op. cit, p. 85.

(١٩) المفيد ، نفس العدد .

هذا ماذكره عرابى «الحضرة السلطانية راغبة وتظهر كل يوم ميلها الى حليم باشا وتقربه منهـا وهو يعدها بالخضـــوع والانقياد لأوامرها ونواهيها »[٢٠] .

ولم تعد مسألة تولية حليم عرش مصر خافية خارجيا أو داخليا ، واهتز عرش توفيق ، ففى عهد نظارة الثورة الثانية انتشر مايفيد بموافقه الدولة لتنازل توفيق لحليم عن الخديوية[٢١] ، وأرادت الدولة أن تنفـذ ما تصبو اليه ، وأثناء مؤتمر الآستانة يذكر السفير النمساوى بالاســتانة « ان السلطان عين مندوبين له فى المؤتمر ، وزير الخارجية وباشا آخر من أجل مهمة سرية الى السفيرين الانجليزى والفرنسى ليقنعهما بقبول تغيير شخص الخديوى بديلا عن الحلول الأخرى باســـتبدال توفيق بحليم كوسيلة مناسبة يرى فيها اقرار النظام والحالة فى مصر ، هذا فى الوقت الذى قدم فيه هذا الاقتراح السلطان نفسه الى دفرين الذى تلقى من حكومته جوابا بالرفض ، وقد استقبل السلطان القائم بالأعمال الألمـانى لنفس الاقتراح »[٢٢] هذا فى الوقت الذى كان فيه يتفاهم مع عــرابى فى امكانية اتمام ذلك[٢٣] ، رغم انه فيما سبق هذه الفترة كان يبين انه لايهمه من يكون خديو مصر .

لكن ماذا عن موقف المصريين من حليم ؟

---

(٢٠) أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصريـة المشهورة بالثورة العرابية مذكرات مخطوطة محفوظة بالهيئة المصرية العامة للكتاب ، جـ٢ ، ص١٣٠ .

(٢١) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من ثابت باشا الى الخديو فى ٢٥ أبريل ١٨٨٢ .

(٢٢) الأرشيف النمساوى ، محفظة ٢٠ ، المجموعة ٢٦/٣١ ، رقم١٨٤ ، برقية شفرة من البارون كاليه الى وزارة الخارجية النمساوية ، القسطنطينية فى ٢١ يوليو ١٨٨٢ .

(٢٣) نفس المصدر ، رقم ٥٨ ، برقية شـــفرة من الكونت لودولف الى الكونت كالنوكى ، روما فى ٢٢ يوليو ١٨٨٢ .

كانت خطة حليم متشعبة الأطراف خارجيا من أجل الاستحواذ على مصر ، أما داخليا فقد كثف نشاطه وأراد بكل الطرق التقرب من الثوريين الذين يمكن لهم أن ينادوا به حاكما عليهم بعد أن يسقطوا من يقف ضد ثورتهم ، وبذلك يمكن له أن يتولى العرش بناء على ارادة الشعب ويمارس سـلطته كحاكم شعبى •

رأت الثورة أن يلغى نظام الحكم القائم ، وأن تجتث الشجرة العلوية من جذورها وكان عرابى يكره حليم[٢٤] ، بل الأسرة جميعها وكثيرا ماأعلن وضع نهاية لها[٢٥] ، ويذكر لنا بلنت « أن هدف الثوار كان وطنيا بحتا وانهم لم يكونوا مقتنعين بولاية حليم مكان توفيق أو بأى فرد من العائلة الخـديوية »[٢٦] •

ومع هذا كان من بين الخطة امكانية الرضا بحليم لانهاء الحكم القائم كخطوة يمكن لهم بعدها الاطاحة به ماداموا قد برهنوا على النجاح فى اسقاط حاكم وتنصيب آخر • هذا بالاضـافة الى أن حليم كان يروج مبادىء له ليست وليدة الأحداث ولكنها من الأسباب التى جعلت اسماعيل يتخلص منه تلك التى تتفق مع مصلحة المصريين [٢٧] ، وكانت اعلاناته وتصريحاته عقب ذلك تضع ستارا وراء تلك الطبيعة التى تتفق وصفات بقية عائلته المتسمة بروح المؤامرة والتعالى[٢٨] ، فهو يمثل الرجل التركى الجامد الطاغى الفاسد القاسى المرتشى[٢٩] ، لكنه يخفى ذلك كله حتى ينال مايسعى اليه ويظفر بعرش مصر •

---

(٢٤) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٣ قضايا المتهمين ، على راغب قبودان ضابط بحرى ، دوسيه ٢٤٦ .

(25) Biovés : Francais et Anglais en Egypt, Paris, 1910, p. 89.

(26) Blunt : My Diaries, vol I, London, N. D., p. 13.

(27) Chaille : Les trois Prophetes : Le Mahdi-Gordon - Arabi, Paris 1886, p. 272.

(28) Archives d'etate et de La cour, Vienne, Actes, Politico, Commerciaux, Finances 1880, No 40 pol, Schaeffer à Hay merie, le Caire, 5 Mai, 1880.

(29) Duse, M. : In the Land of the Pharaohs, London, 1911, p. 13.

أضف الى هذا انه كان له بعض الموالين فى مصر ، الذين كانوا يقتنعون انه من الأوفق والمصلحة لمصر أن يكون حليم حاكما لها فى اطار الاستقلال الذاتى بمعنى أنه اذا كان ولابد من الارتباط بالدولة العثمانية فى ظل الفرمانات فيفضل حليم عن أى فرد في الأسرة العلوية ، ومن بين هؤلاء عبد السلام المويلحى فقد كان يميل اليه وهو وكيل ادائرته[٣٠]، كذلك حسن موسى العقاد ، وعن هذا الطريق كان التأثير على اتجاه قادة الثورة .

وبدأت الاتصالات بين الطرفين ، وكان عثمان فوزى أحد أداة التفاوض — وهو شركسى الأصل وأحد مماليك محمد على وظل مخلصا لابنته زينب وعمل وكيلا لدائرتها — فساند سياسة حليم وراح يعمل لتحقيقها ، فنراه يتحول الى جانب الثورة ويتقرب الى عرابى ويؤيد كل خطواته من أجل اعتلاء حليم العرش ، كما كانت له علاقاته مع العقاد الذى نجح فى أن يجعله من مؤيدى حليم[٣١] .

ولم يكن عرابى يجهل نوايا عثمان فوزى لكنه لم يكن فى يوم من الأيام على صلة بحليم فلم يعثر على أية مكاتبات منه أو اليه تؤكد ذلك[٣٢] ، ولكن تناول قادة الثورة فى اجتماعاتهم التى كان يحضرها عثمان فوزى والعقاد مسألة تعيين حليم ، فيقول الأول فى محضر التحقيق معه أن محمود سامى سأله عن سن حليم « فأخبرته انه مثل سن اسماعيل باشا الخديو السابق أعنى الخمسين سنة ، فقال لى يوجد له صورة فقلت له موجود فطلبها منى وأحضرتها لهم »[٣٣] .

---

(٣٠) المقطم ، عدد ٧٨٨ فى ٩ أكتوبر ١٨٩١ .

(31) Broadly : How we defended Arabi and his Friends, London, 1884, pp. 143, 361, 363.

(٣٢) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، قضايا المتهمين أ ، أحمد عرابى باشا ، دوسيه ٥٣/أ

(٣٣) نفس المصدر ، محفظة ١٣ ، قضايا المتهمين ، عثمان باشا فوزى ، دوسيه ٢٣٠/ب .

ومضت الدعاية لحليم الذى بذل من أجلها هو وأخته الأموال ، واتهم العقاد بنشاطه فى هذا المجال « ليصرفها فى جلب قلوب بعض الناس وترغيب العالم لحضور حليم باشا »[٣٤] ، لكن العقاد أبان انه ليس فى حاجة الى تلك الأموال فقد بلغ من الثراء مداه .

كذلك كان للعنصر النسائى « الحريم » دور فى هذه المسألة ، ففى خطاب من على فهمى الى عرابى يشير الى أسماء بعض السيدات اللائى يحضرن الى مصر ومعهم جوابات من الآستانة من طرف زينب هانم وينقلن ردها[٣٥] ، كما كانت جميع مساعى حليم فى تركيا أو خارجها تعلمها مصر ، فترد البرقيات من الآستانة مفادها السعى فى خلع الخديو « ولم يكن يستطيع أحد أن يطلع عليها الا بعد أن يلتقى بالعقاد »[٣٦] .

وجاء موقف توفيق واحتضانه لمذكرة مايو المشتركة واحتجاج الثوار واستقالة الوزارة فى صالح حليم وتدعيما لموقفه خاصة بعد انتشار أخبار رضاء الدولة العثمانية عليه ، ومن هنا أصبح التقارب بينه وبين الثورة واضحا ، فتقول بالتيمز « ان عرابى يعمل لخدمة حليم ليعين خديويا لمصر اعتقادا منه انه رجل أمين »[٣٧] ، وهذا فى حد ذاته اعتراف منها أن عرابى يعمل لمصلحة مصر ويريد لها الرجل الأمين وليست له أطماع فى الاستحواذ على الحكم . ونجد الطائف تذكر « تنهج الجرائد الآن باسم البرنس عبد الحليم ورضاء السلطان عنه ونجاح أعماله وهذا يفهم منه أن الحضرة السلطانية مقرة على تعيينه خديويا لمصر ورضيت بذلك

---

(٣٤) نفس المصدر ، محفظة ١٦ ، قضايا المتهمين ، محمود فهمى باشا ، دوسيه ٣٨٤/أ .

(٣٥) نفس المصدر ، محفظة ١٣ ، قضايا المتهمين ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، على باشا فهمى ، دوسيه ٢٦٤/ب .

(٣٦) نفس المصدر ، محفظة ١١ ، قضايا المتهمين ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، طلبه عصمت باشا ، دوسيه ١٧٦/ب .

(37) The Times, May, 31, 1882.

بعض الدول وبقى البعض فهى تترضاهم قطعا لمشاكل مصر ودفعا لمن جلب عليها هذه الشرور »[٣٨] .

وفى اجتماع ٢٧ مايو ١٨٨٢ الذى عقده السلطان ونودى فيه بعزل توفيق ، اتجهت الأفكار الى تعيين حليم[٣٩] ، كاجراء وقتى للتخلص من توفيق ، وليأتى حليم ليرفض المذكرة ويعيد البارودى ويحكم وفقا لرغبات الثورة ، وكان حليم قد تبنى أفكار الثورة وأظهر انه قلبا وقالبا معها وأثنى على رجالها ، ففى خطاب منه الى مندوبه فى مصر عثمان فوزى يقول له : « لاتخافوا من شىء تأتى به أعمال عرابى يغاير أمل الناس فيه ويخل بالراحة والاصلاح ، فانه ممن سعى هو واخوانه للاصلاح وهو ماشى بالتدبير والعقل والحكمة ، ومثل هذا الرجل العاقل يلزم أن لايفتكر فى نتيجة أعماله الا الخير والصالح لوطنه »[٤٠] ، وكثرت تلك الخطابات التى فاضت بالتأييد والتشجيع للثورة وقادتها ، بدليل انه كان عقب وصولها يطلع عليها « ديوان الجهادية »[٤١] .

وبذلك دخل حليم فى الاطار الثورى ، وأصبح من بين مضمون مراسلات القادة الى الدولة العثمانية طلب عزل توفيق وتعيين خليفة له وجرى التختيم على محاضر بهذا الشأن كان أحيانا الطلب لا يذكر اسم البديل وأخرى يذكر حليم ، فيقول العقاد « أحضرنا أحمد عرابى فى منزله مع جميع العلماء والأعيان ووجدناه جارى تختيم الناس على عرضحال للحضرة السلطانية بطلب استبدال الحضرة الخديوية بدون

---

(٣٨) الطائف ، عدد ٥٦ فى ١١ أغسطس ١٨٨٢ .

(39) Malortis : Egypt, Native, Rulers and Foreign Interfernce, London 1883, p. 221.

(٤٠) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٣ قضايا المتهمين ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين عثمان فوزى باشا ، دوسيه ٢٣٠/ب ، ١٠ أبريل ١٨٨٢ .

(٤١) نفس المصدر ، محفظة ١٠ ، قضايا المتهمين ب ، ج ، حسن موسى العقاد ، دوسيه ١٢٣/أ .

تعيين اسم البدل وانا ختمت بالجملة »[٤٢] ، أما المحاضر التى عين فيها طلب حليم فقد سعى لها العقاد [٤٣] ، وأمام ذلك انهار توفيق واستدعى وكيلى انجلترا وفرنسا وأبلغهما بأن « الجهادية سوف تعزله وتعلن البرنس حليم خديويا »[٤٤] .

وكان من بين علماء الدين من هو ميال الى حليم ، فقد طالب الشيخ عليش تعيينه خديويا[٤٥] كما أيده الشيخ العدوى[٤٦] ، وترددت أصداء ذلك بين المصريين « محمد عبد الله عمدة الصنافين شرقية كان يحضر من المحروسة ويقول للناس ان الخديو اتخلع بأمر السلطان وأن عرابى سيحضر عبد الحليم باشا وأن بحضوره يكون خديويا »[٤٧] ، ولعل كان الترحيب بذلك بناء على أنه ثورة ومؤيد من قادة الثورة وخاصة عرابى ، وانه سيكون حاكما وفقا لدستور الحزب الوطنى[٤٨] .

وتكثفت مجهودات حليم وأتباعه عقب اعلان الحرب وانضمام توفيق نهائيا للاعداء وايقاف الأمة لأوامره واعتباره شبه معزول ، ففى مسودة لخطاب عثر عليه لدى العقاد « لمناسبة انضمامه (توفيق) للانجليز وجلب حربهم على المصريين ، أصبح مشاعا انه سيأتى عساكر عثمانية الى مصر ومعها البرنس حليم باشا ، على أن المتراءى بأنه اذا كان المقصود حضورهم لأجل رحيل الانجليز عن مياه الاسكندرية وخلافها وتوصيل

---

(٤٢) نفس المصدر .

(٤٣) نفس المصدر ، محفظة ١١ ، قضايا المتهمين ، سليمان داود ، دوسيه ١٥٤ .

(44) Egypt No, 11 (1882), No, 6 Sir Malet to Earl Granville, Cairo, June 1, 1882, p. 2.

(٤٥) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من الخديو الى ثابت باشا فى ١٦ يونيو ١٨٨٢ .

(٤٦) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : الثورة العرابية ، ص٨٦ .

(٤٧) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٥ ، قضايا المتهمين ، محمد عبد الله عمدة الصنافين شرقية ، دوسيه ٣٤٢ .

(48) Ninet : Arabi Pacha, Paris, 1884, p. 77.

البرنس الى مستقرة فلا بأس وان كان المقصود نفى عرابى باشا واخواته من مصر حسب رغبة الانجليز فلايمكن التسليم فى ذلك »[٤٩] ، وواضح أن الأنظار قد اتجهت لعودة الأمير المنفى .

وقد اعتقد أن مؤتمر الآستانة سيعالج الموقف عن طريق تعيين حليم لدرجة أن العقاد « جارى التجهيزات اللازمة لعمل الزينة لقدوم البرنس بصفة خديو مصر » كما أنه فى خطاب منه الى حميد أبو ستيت يذكر له « أما أفندينا حليم باشا فقد عينه حضرة السلطان خديويا على مصر ووافقت على ذلك جميع الدول ، وفقط المعارض الانجليز لتطابهم بعض شروطا وجزما لابد عن النهو فى هذا الشهر وبعدها يتشرف الى القطر »[٥٠] ، وانتاب العسكريون نفس التوقعات بعد ان كانت مراسلات الآستانة تفيد بالموافقة على خلع توفيق وتنصيب حليم « وانه مزمع حضور الباشا المشار اليه عن قريب »[٥١] .

وبعد أن استشم حليم موقف الدولة العثمانية بتحولها عنه ، أراد أن يعمل بمفرده فعرض على السلطان رغبته فى السفر الى مصر لا كحاكم ولكن كمجاهد وطنى يلتحق بجيش عرابى ، وطلب منه السماح له بذلك فرفض السلطان[٥٢] ، ولم يكن حليم مصريا ولا وطنيا لكى يدافع عن مصر لكنه وجد انه يمكنه عن هذا الطريق الوصول الى قلب مصر ، ولم تساعده الظروف عندما تغيرت الأهواء العثمانية لتضع مصلحتها فوق كل الاعتبارات فثبتت توفيق على عرش مصر لتعصف بمجهودات حليم الى الأبد .

---

(٤٩) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٠ ، قضايا المتهمين ب ، ج ، حسن موسى العقاد ، دوسيه ١٢٣ .

(٥٠) نفس المصدر .

(٥١) نفس المصدر ، محفظة ١٧ ، قضايا المتهمين ، يعقوب سامى باشا وكيل الجهادية ورئيس المجلس العرفى ، دوسيه ١/٤٠٨ .

(٥٢) البرقيات المتبادلة بين القاهرة والآستانة اثناء الثورة العرابية ، ترجمة ٢٨٨ ، برقية واردة من قدرى أفندى فى ٢٢ نوفمبر ١٨٨٢ ، ص٥ .

دسائس الخديو اسماعيل :

يعد ماقام به اسماعيل بمصر من الأسباب التى أدت لقيام الثورة ، وقد أسعد المصريون خروجه منها اذ نقم عليه الجميع ، ولم تثبط الثورة عزيمتها لحظة عن مهاجمته لاساءته لمصر ، وهو أيضا لم يهدأ لحظة وهو أيضا لم يهدأ لحظة وهو فى الخارج اذ مارس جميع نشاطاته من أجل العودة مرة ثانية الى مصر واسترجاع عرشها .

كانت علاقاته بسيئة مع انجلترا وفرنسا وهذا شىء طبيعى ، فهما اللتان عزلتاه ، أما تركيا فهى لا ترتاح اليه أبدا هذا من ناحية ، ولم تكن تستطيع أن تتصرف دون موافقة الدولتين من ناحية أخرى ، فقد أبان سفير فرنسا بالآستانة الى وزير خارجيته « ان السلطان استدعى اثنين من وزرائه لأخذ رأيهما فى امكانية عودة اسماعيل لكنهما أبانا له أن انجلترا وفرنسا ترفضان ذلك بشدة ولربما تعلن استقلال مصر عن تركيا » ويمضى ليتصح بأنه يجب الوقوف أمام دسائس اسماعيل[٥٣] .

فكر اسماعيل فى العودة الى مصر عن طريق الحجاز ، وكان راتب باشا مندوبه ووكيله والرجل الأول لديه فى تنفيذ المخطط، فقد أبرقت السفارة العثمانية فى روما الى الخارجية بالآستانة بأن « اسماعيل باشا قد أوفد راتب باشا بالأسرار المحرمة الى الحجاز على الباخرة التى استأجرها لهذه الغاية وانه قد أوفد للاتفاق مع الشريف لتدبير المفاسد وسيخرج من ميناء ينبع حتى لايلفت اليه أنظار موظفى الحكومة فى جدة »[٥٤] ، وتم الاتصال بين اسماعيل والشريف عبد المنعم شريف مكة

---

(53) Documents Diplomatique Francais, Tom III, No, 34, M. Fournir ambassadeur de Franue à constantinople à M. De Freycinet Ministre des Affaires Etrangeres, Pera, February, 25, 1880.

(٥٤) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من ثابت باشا الى الخديو فى ٢٠ نوفمبر ١٨٨١ .

وراح يزوده بالسلاح ويحرضه لاعلان خلافته فى الحجاز[٥٥] ، اذ كانت لديه النية فى الخروج على الدولة العثمانية والاستقلال فاحتضن كل معارض لها .

كذلك أوجد اسماعيل علاقات مع بعض الأجانب الرأسماليين بمصر اذ رأى أنه من الممكن بواسطتهم أن يحقق مايريده ، وقد أفادت معلومات من ضبطية مصر عن هذا النشاط الذى يقومون به من « عمال دسائس لاعادة الخديو السابق واليا لمصر وهم اخوان سوارس وقطاوى بك وموسى قطاوى »[٥٦] ، ولم يكن هؤلاء فقط بل كان هناك أعوان له يعملون من أجله .

كان اسماعيل يكره الثورة والثوار ، لكن فى سبيل مصلحته وكما عاهدناه يتقرب الى الحركة الوطنية ليصل الى أهدافه ويضرب بها أعداءه وقد هداه تفكيره أن يعود الى مصر عن طريق الثورة الموجودة فيها « فكان يرى فى ظهور أحمد عرابى واتساع كلمته واستفحال الخلل بديار مصر وتهديد مقام ولده توفيق باشا فرصة ربما كان من ورائها خلع ولده وعودته الى كرسى الخديوية »[٥٧] . ومضى يخطط ليحقق هدفه، فأشاع أن الثورة المصرية هى بتحريض منه وأن عرابى هو صنيعة له فأبرق سفير انجلترا من روما الى حكومته ليخبرها بأن « اسماعيل يباهى فى نابولى بأن عرابى فى جيبه »[٥٨] ، حتى لقد وصل الأمر أن اعتقد جرانفيل فى ذلك . فاخبر بلنت أن لديه معلومات على أن اسماعيل

---

(٥٥) نفس المصدر ، محفظة ١٦٤ ، مذكرة ثابت باشا فى ٢٩ نوفمبر ١٨٨١ .

(٥٦) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، قضايا المتهمين أ ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، أحمد عرابى باشا ، دوسيه ٥٣/د/٧ .

(٥٧) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ج٤ ، المطبعة الأميرية ١٩٠٠ ، ص٢٧٣ .

(58) Blaunt : Secret History of the English Occupation of Egypt. p. 222.

مسيطر على عرابى ، وأن كل مايجرى فى مصر هـو مؤامرة يراد بهـا عودة اسماعيل »[٥٩] .

وفى مصر نرى تكدر توفيق لعلمه برغبة أبيه الأكيدة فى العودة ، فكان يرسل من يتحرى عن تحركاته واتصالاته[٦٠] ، وبناء على ما أشاعه اسماعيل ، اعتقد توفيق أن هناك علاقة سرية تربطه بعرابى كما صرح بذلك الى قنصل النمسا [٦١] .

لقد توهم اسماعيل عندما ظن أنه من الممكن أن يقدم له عـرابى المساعدة للوصـــول الى مايصبو فهو يكرهه من أعماق قلبه ، وجميع تصريحاته انصبت على الهجوم عليه وبأنه المتسبب لكل ماجرى لمصر من كوارث ، ويقول بلنت : « ان موقف عرابى فى ذلك الحين أدل منه فى أى وقت آخر على عدائه للباشوات الشراكسة أنصار اسماعيل الذين كانوا يدسون الدسائس لتوفيق ، فلم يكن يخفى على كل حال أن لاســـماعيل أغراضا فى اظهار الاضطراب فى مصر على أنه لحسابه »[٦٢] هذا هو موقف القائد ، وأيده فيه العسكريون الذين عارضوا وبشدة عودة سلطة الحكم الى اسماعيل مرة أخرى[٦٣] ، أيضا صورت الصحافة المصرية بانوراما كاملة تنطق برفض خديوى مصر السابق ، وبالتالى توغل شعور العداء فى قلوب المصريين .

لم يكف اسماعيل لحظة عن العمل ، وعندما رأى استمالة العناصر

---

(59) Ibid, p. 221.

(٦٠) أحمد شفيق ، المرجع السابق ، ص٩٤ .

(61) Archives de maison, de cour et d'etat, Vienne, Fasc XXXI/9, Rapport du consulat general i R au Caire au Ministre des Affaires Etrangeres, Le Caire, 19 Fevrier, 1882.

(62) Blunt : op. cit, p. 222.

(63) The Times, April. 20 1882.

الثورية عن طريق راتب باشا فشلت محاولاته (٦٤) ، فطرق بابا آخر ، أرسل زوجته الأولى من ثابولى الى الأسكندرية ، وأيضا زوجته الثانية بدعوى أنها مريضة ومشرفة على الموت ومعها مايزيد عن ٣٥ شخصا من الأتباع والجوارى ، وعقب وصولها الى الميناء رفضت أن يكشف عليها الأطباء ، فهذا جعل توفيق يأمر بعودة تلك الزوجة على نفس الباخرة (٦٥) ، التى كان عليها ابن اسماعيل وهو يرتدى أثواب النساء ومحتجبا بالباخرة (٦٦) ، حتى انه اذا نجحت الخطة يستولى على العرش لحين حضور أبيه .

أعلن عرابى رسميا رفضه لنزول الزوجة على الأرض المصرية ، وأبان أن الأمة المصرية والجيش يرفضون مجيىء أى انسان يساعد الخديو السابق ويكون عضدا له ولدسائسه ، وأذاع بلاغا مفاده « أشيع على ألسنة العامة عن ورود احدى نساء الخديو السابق الى الاسكندرية وأن ناظر الجهادية وضباط العسكرية يميلون الى دخولها للاقامة بالقطر المصرى وانتشرت تلك الاشاعات حتى خيف من دخولها على بعض الأذهان ، فحملنى هذا على المبادرة بتكذيب هذا الخبر عن نفسى وعن كل ضابط بل كل فرد عسكرى فى مصر ، فان ضباط العسكرية عموما يشاركون أهالى القطر المصرى بأجمعهم فى النفور التام من دخول أى شخص يأتى من قبل الخديو السابق من نساء أو رجال لما يعلمونه عما حدث عن هذا من الضرر للبلاد » (٦٧) .

---

(٦٤) أبو نظارة ، عدد ٥ فى ٣ مارس ١٨٨٢ .

(٦٥) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من الخديو الى القبوكتخدا بالآستانة ، ١٠ ابريل ١٨٨٢ .

(٦٦) مصر ، عدد ١٧ فى ١٦ ابريل ١٨٨٢ .

(٦٧) مصر ، عدد ١٩ فى ١٩ ابريل ١٨٨٢ ، المفيد ، عدد ٥٠ فى ٢٣ ابريل ١٨٨٢ .

ومما لاشك فيه انه كان للمعسكر المضاد للثورة أراجيفه فى هـذا الشأن ، فهو يعلم أن الثورة جاءت لتقضى على مفاسد اسماعيل التـى تركها فى مصر ، فاذا نسب علاقات لرجال الثورة مع هذا المستبد فربمـا ينفصـل التلاحم وينفك الارتباط وتضرب الثورة • كما أنه كان لتلك الاشاعات التى نشرها اسماعيل صداها فى الداخل لذا كان على عرابى الوقوف أمام هذه العاصـفة •

وقد حاول اسماعيل استمالة رجال الدين فى مصر لمعرفته بأنهـم ركن أساسى فى الثورة فيتصل بالشيخ حسن العدوى ليطلب منه السعى فى حضور عائلته لمصر ، كما كان يبعث بمن تموت من جواريه للصـلاة عليها ودفنها بمصر(٦٨) ، لكن لم يترك اسماعيل أى أثر طيب له حتـى يفكر أحد من المصريين فى مساعدته •

وأمام تلك المحاولات لاسماعيل كانت الثورة تقف له بالمرصـاد ، ولم تكن الثورة بمفردها ، كذلك توفيق اذ اعتقد أن اسماعيل أصـبح مقربا للسلطان بعد السماح له بالعودة الى الآستانة(٦٩) ، ولكن الهـدف وضعه تحت المنظار وكشف المؤامرات التى يحيكها ، وراح توفيق يبحـث وينقب عن كل صغيرة وكبيرة يمكن لها أن تعود بنفوذ أبيه حتى أنه عندما أشيع أن عائشة هانم رئيسة الزار — التى تبخر الخديو وملابسه وتتلوا عليه العزائم والتمائم — تجرى « أعمال دسائس من قبل اسماعيل باشا» عمل على نفيها الى سواكن ورحلت فى الحال (٧٠) ، وشغل توفيق بتلك الاجراءات التى يقوم بها اسماعيل الى أقصى حد لدرجة أنه لم تـكن

---

(٦٨) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٠ ، قضايا المتهمين ب ، ج ، الشيخ حسن العدوى مدرس بالأزهر ، دوسيه ١١٥ .

(69) Archives de maison, de cour et d'etat, Vienne, op. cit.

(٧٠) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، قضايا المتهمين أ ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، أحمد عرابى باشا ، دوسيه ٥٣/د/٥ ، ٥٣/د/٧

تخلو مقابلة من مقابلاته مع القناصل الا وكان يعرضها ويشكو الأمر[٧١] •

وأخيرا وعندما وجد اسماعيل انه من المستحيل تحويل الثورة عن مسارها واستخدامها لخدمة أغراضه بالوصول على أكتافها لعرش مصر انعطف الى طريق آخر ودبر خطة بايجاد حركة مضادة تقضى على الثورة، وفى زمرة الاضطرابات التى يمكن أن تحدث تكون الفرصة لدخول مصر واستعادة ملكه ، فكانت المؤامرة الشركسية لاغتيال قادة الثورة والتى كان له يد فيها « وهذا يؤدى الى ايجاد ثورة مضادة تحدث دوامة تهيىء لاسماعيل فرصة العودة »[٧٢] ويحال عرابى الموقف بقوله : « طاب احداث الفتن والانقلاب لعله يصادف انقلابا تقول فيه أوروبا بأن حكومة مصر لاتكون أمينة من الاضطراب الا اذا أطلقت فيها التصرف للخديو »[٧٣] ويمضى ليبين ما ظلم به اسماعيل مصر والمصريين • وفى خطاب من محمد عبده الى بلنت فى ٢٥ أبريل يسب فيه اسماعيل وينسب اليه العمل من أجل القضاء على الثورة « الخديو اسماعيل العدو الأكبر لمصر ، يجد سعادته فى عمل الدسائس لكى يدمر حكومتنا ويفكر انه بعمله هذا يمكنه العودة الى مصر ، لكن الله بدد آماله فذهبت مع الريح ، فكل مصرى يعلم أن رجوع اسماعيل لايعنى سوى دمار مصر »[٧٤] •

وبذلك فشلت جميع المحاولات أمام صمود الجبهة الثورية ولم يعد اسماعيل الى مصر ليحكمها بالكرباج وبالسجون والمعتقلات ، لكن ليوارى فى ترابها •

---

(71) Politisches archiv, Alexandrien, Fasz XXXVIII/195, No. 2863, Rapport du Baron kosjek au Ministre des Affaires Etrangeres, le Caire, 5 Decembre, 1881.

(72) Blunt : op. cit., p. 249.

(73) Broadly : The trial and Pardon of Arabi Pasha, vol. II.

(74) Blant : op. cit, p. 249.